

تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.comمن التقسيم البريطاني إلى الحروب واشتباك كشمير
عن تاريخ لا يُغتفر بين الهند وباكستان

لاحت لايام بوادر حرب شاملة بين دولتين نوويتين، الهند وباكستان. اذا كان الانفجار الكبير لم يقع، الا ان طبيعة الصراع بينهما، بخلفياته التاريخية والدينية والدموية، تثير دوما المخاوف من انتشار نيرانه في جنوب شرق آسيا، وتهديد حياة مئات الملايين من البشر. فما تركته الامبراطورية البريطانية هناك، سيظل دوما يؤرق العالم

يحكى ان مسار العلاقات بين الهند وباكستان لم يشهد يوما من السلام الكامل منذ ان رسم الاستعمار البريطاني خطوط التقسيم في العام 1947. المحامي البريطاني سيريل رادكليف كلف تقسيم الهند عندما كان عدد سكانها 400 مليون انسان، خلال خمسة اسابيع فقط.

لكن في اي من الحروب التي وقعت لم يستخدم السلاح النووي. لهذا عندما

حروب كبرى وقعت بين الدولتين. حرب مصغرة وقعت في جبال كارغيل في العام 1999. المناوشات في الجبال لا تتوقف سواء بالقصف ام بتبادل النار بالاسلحة الرشاشة، حتى ان الاعلام نادرا ما يرصدها او يتابعها. انه روتين القطيعة التاريخية بين الجارين اللدودين، الهندوسي والاسلامي.

لكن في اي من الحروب التي وقعت لم يستخدم السلاح النووي. لهذا عندما

حروب كبرى وقعت بين الدولتين. حرب مصغرة وقعت في جبال كارغيل في العام 1999. المناوشات في الجبال لا تتوقف سواء بالقصف ام بتبادل النار بالاسلحة الرشاشة، حتى ان الاعلام نادرا ما يرصدها او يتابعها. انه روتين القطيعة التاريخية بين الجارين اللدودين، الهندوسي والاسلامي.

لكن في اي من الحروب التي وقعت لم يستخدم السلاح النووي. لهذا عندما

حروب كبرى وقعت بين الدولتين. حرب مصغرة وقعت في جبال كارغيل في العام 1999. المناوشات في الجبال لا تتوقف سواء بالقصف ام بتبادل النار بالاسلحة الرشاشة، حتى ان الاعلام نادرا ما يرصدها او يتابعها. انه روتين القطيعة التاريخية بين الجارين اللدودين، الهندوسي والاسلامي.

لكن في اي من الحروب التي وقعت لم يستخدم السلاح النووي. لهذا عندما

حروب كبرى وقعت بين الدولتين. حرب مصغرة وقعت في جبال كارغيل في العام 1999. المناوشات في الجبال لا تتوقف سواء بالقصف ام بتبادل النار بالاسلحة الرشاشة، حتى ان الاعلام نادرا ما يرصدها او يتابعها. انه روتين القطيعة التاريخية بين الجارين اللدودين، الهندوسي والاسلامي.

لكن في اي من الحروب التي وقعت لم يستخدم السلاح النووي. لهذا عندما

حروب كبرى وقعت بين الدولتين. حرب مصغرة وقعت في جبال كارغيل في العام 1999. المناوشات في الجبال لا تتوقف سواء بالقصف ام بتبادل النار بالاسلحة الرشاشة، حتى ان الاعلام نادرا ما يرصدها او يتابعها. انه روتين القطيعة التاريخية بين الجارين اللدودين، الهندوسي والاسلامي.

لكن في اي من الحروب التي وقعت لم يستخدم السلاح النووي. لهذا عندما

اشتعل التوتر في شباط 2019، ثارت المخاوف من ان احد الجارين الغاضبين من نيران كشمير التي لم تتوقف منذ عشرات السنين، قد يبادر الى اخراج السلاح النووي من جعبته العسكرية. لكن ذلك لم يحدث. اظهر الطرفان السياسيان الحاكمان في نيودلهي واسلام اباد، ضبطا لافتا للنفس بازاء احتمالات التصعيد.

فما الذي جرى؟

في 14 شباط 2019، وقعت عملية انتحارية يعتقد ان تنظيم ما يسمى "جيش محمد" الذي تحتضنه باكستان، نفذها، اوقعت اكثر من 40 من قوات الامن الهندية في ولاية كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان. للتنظيم سجل دموي حافل في المواجهة مع الهند منذ تسعينات القرن الماضي.

بعدها بنحو عشرة ايام، وتحديدا في 26 شباط، نفذت طائرات من طراز ميراج 2000 التابعة للهند غارات على ما سمته نيودلهي معسكرات تابعة للتنظيم في مدينة بالاكوت الباكستانية. تكمن خطورة هذه الخطوة في انها المرة الاولى منذ العام 1971 التي تناول فيها نيران القوات الهندية مناطق داخل باكستان نفسها، وليست واقعة في ولاية كشمير.

في اليوم التالي، اختارت باكستان الرد بعقلانية نوعا ما، حيث اخترقت مقاتلاتها المجال الجوي الهندي في ولاية كشمير المتنازع عليها (اي في الجزء الذي تسيطر عليه الهند)، واعلنت اسقاط مقاتلتين جويتين هندية واسر طيار هندي.

لم يجد الخبراء العسكريون تفسيراً لماذا اختارت الهند ان تتصدى لباكستان في

جنود من
باكستان
والهند
على
الحدود.

طاحنة. ذلك ان الطرفين، رئيس الوزراء الهندي نارندرا مودي ونظيره الباكستاني عمران خان، يدركان ان اندلاع مواجهة شاملة تعني خرابا اكثر مما يمكن ان يتصوره عقل. مع ذلك، فان المخاوف كبيرة، اذ كسرت الهند ضبطا محددًا للنفس تلزم نفسها به منذ 48 سنة، بعدم استهداف الاراضي الباكستانية نفسها. وهي مخاوف يجب ان تؤخذ بجديّة كبيرة، اذ ان الحزب الحاكم في نيودلهي "بهارتيا جنتا" الهندوسي المتطرف، بنى الكثير من ارثه السياسي على اجندة العداء لباكستان، فيما تتنامى نظرة الهند الى نفسها على انها تحولت الى مصاف الدول الكبرى القادرة على اتخاذ ما يلزم من قرارات حماية لامنها القومي.

سلط الاشتباك الهندي - الباكستاني المصغر الضوء على صراعاتهما الدموية والتي لا تشجعهما على خوضها مجددا، برغم كل اجواء الاحتقان والتنافس القائم بينهما منذ عشرات السنين.

من المعروف ان تجربة تقسيم الهند، تركت جروحا غائرة لم تتم معالجة غالبيتها منذ العام 1947، وشكلت احدى اكبر

للاعلام بأن التساؤلات حول سبب اللجوء الى ميخ 21 التي صنعت للمرة الاولى في الخمسينات صارت غير مبررة لان المقاتلة جرى تحديثها.

مهما يكن، فان الاشتباك لم يتحول الى حرب

سما كشمير في 27 شباط، معتمدة على مقاتلة قديمة نسبيا من طراز ميخ 21 وتم اسقاطها، وسلاحها الجوي يمتلك مثلا مقاتلات سوخوي 30 الاكثر تطورا. اضطر متحدث عسكري هندي الى التصريح

رادكليف وماونتباتن

قبل 70 عاما، كلف رجل واحد مهمة رسم الحدود التي قسمت الهند. كان ذلك الرجل هو المحامي البريطاني سيريل رادكليف الذي منح مهلة لم تتجاوز خمسة اسابيع للتقسيم. كانت على طرفي الهند البريطانية انذاك ولايتان كبيرتان يتساوى فيهما عدد الهندوس والمسلمين، وهما البنغال في الشرق والبنجاب في الغرب. مهمة المحامي رادكليف رسم خط تقسيم يمر في هاتين الولايتين. وهي مهمة معقدة، فيما كان مصر عدد من الولايات الاخرى مبهما ايضا. اعتمد رادكليف على مستشارين جهلة وخرائط عفا عليها الزمن واحصاءات غير دقيقة، ولم يكن في الامكان رسم خطوط تقسم مجتمعات عاشت جنبا الى جنب منذ قرون عدة. احرق رادكليف كل وثائقه قبل ان يغادر الهند. رغم تكريمه من الحكومة البريطانية، لم يكن يشك في المشاعر الحقيقية التي يكنها له البنجابيون والبنغاليون. قال: "هناك 80 مليوناً من البشر الغاضبين يبحثون عني، ولا اريد ان يعثروا علي".

لم يعد ابدأ الى الهند او باكستان كلف اللورد ماونتباتن - وهو من اقارب الاسرة البريطانية المالكة - مهمة اخراج بريطانيا من اكبر مستعمراتها، فقرر ان من الافضل ان تتم عملية الانسحاب بسرعة. قتل ماونتباتن في العام 1979 بانفجار قنبلة زرعها في بخته الجيش الجمهوري الايرلندي. (عن بي بي سي)



جنود في كشمير.

واعلان حكومة بنغالية في المنفى الهندي. هذه هي الحروب الثلاث الرئيسية التي خاضتها الهند وباكستان. لكن المفارقة ان التطور الاكثر خطورة جرى خلال الحرب الرابعة التي اندلعت في العام 1999، في جبال كارغيل والتي سيطر خلالها الباكستانيون على ما مساحته 200 كيلومتر مربع من المرتفعات الشاهقة خلال عملية عسكرية سرية مفاجئة. مع الضغط العسكري الهندي على المهاجمين الباكستانيين، حرك الجيش الباكستاني صواريخه النووية في اتجاه الحدود الهندية تحسبا لانتهيار الموقف بشكل شامل، وخصوصا الخوف من قيام الهند باغلاق ميناء كراتشي لحصار باكستان من البحر. على الرغم من الخسائر الهندية الكبيرة بسبب طبيعة القتال في الجبال، الا ان الرئيس الباكستاني برويز مشرف فشل في تحقيق مكاسب سياسية من الحرب، حتى ان الصين، المنحازة الى اسلام اباد عادة، انتقدت تلويعه بالسلح النووي، مثلما فعلت ادارة بيل كلينتون والعديد من الحكومات حول العالم.

كانت هذه المرة الاولى التي يلوح فيها شبح الحرب النووية بين الجارتين اللدودتين، خصوصا بعدما اكدت تجارب باكستان النووية في العام 1998 امتلاكها السلاح الاكثر خطورة في العالم. يعتقد حاليا ان باكستان تمتلك نحو 150 رأسا نوويا في مقابل 140 للهند. اذا ظل البلدان مقيدين بهواجس البقاء والماضي، فان الخطر على وجودهما هو الذي قد يجعل الازرار النووية متفلتة من ضوابط عقلانية كثيرة، في منطقة جنوب شرق آسيا، شديدة التوتر والتنافس والصراعات. قديما، سئل عالم عن اسلحة الحرب العالمية الثالثة، فقال انه لا يعرفها، لكنه يعرف اسلحة الحرب العالمية الرابعة. لما سئل كيف يكون ذلك؟ قال ان اسلحة الحرب العالمية الثالثة ستفني الحضارة البشرية التي نعرفها، وسيعود العالم في الحرب الرابعة الى الاسلحة البدائية.



من النزوح بعد التقسيم.

الترسانة النووية عالميا

- بحسب موقع "بيزنيس انسايدر" الاميري، فان تسع دول في العالم تمتلك 14200 رأس نووية.
- روسيا في المرتبة الاولى، تملك 6850 رأسا نووية، منها 1600 منتشرة في الوقت الراهن، و2750 في حالة تخزين، في مقابل 2500 توقف اعتمادها ودخلت مرحلة التقاعد.
- الولايات المتحدة في المرتبة الثانية، حيث ان ترسانتها تضم 6450 رأسا نووية، من بينها 1750 صاروخا منتشرا، و2050 في حالة تخزين. في حين تم احالة 2650 رأسا الى التقاعد.
- فرنسا في المرتبة الثالثة، بترسانة قوامها 300 رأس نووية، من بينها 290 منتشرة، و10 مخزنة.
- الصين في المرتبة الرابعة، بترسانة قوامها 280 رأسا نووية، فيما حلت بريطانيا خامسة بترسانة قوامها 215 رأسا نووية.
- باكستان سادسة بـ150 رأسا نووية.
- الهند سابعة بـ140.
- اسرائيل بـ80 (بحسب خبراء).
- اما كوريا الشمالية فحلت تاسعة بـ60 رأسا نووية.



مقسّم الهند المحامي البريطاني سيريل رادكليف.

لالحاق هزيمة بالهند التي خرجت في العام 1962 من حرب مذلة مع الصين في جبال الهيمالايا الحدودية. اما بالنسبة الى الحرب الثالثة، فانها انتهت بهزيمة صريحة لباكستان خلال 13 يوما فقط، وانفصال ما كان يعرف باسم باكستان الشرقية التي نشأت من خلال التقسيم البريطاني العام 1947، وذلك من خلال توقيع الجنرال الباكستاني خان نيازي على وثيقة استسلام في داكا في كانون الاول 1971، واعتقال عشرات الالاف من الجنود الباكستانيين.

لم تكن الكارثة على باكستان عسكرية فحسب في هذه الحرب الثالثة، اذ كانت ايضا سياسية بامتياز. فمحاولات اسلام اباد الاستمرار في بسط هيمنتها على باكستان الشرقية التي اصبحت لاحقا بنغلادش، اصطدمت لا بموقف هندي مخرب فحسب، وانما بمعارضة شعبية عارمة من جانب سكان بنغلادش لحكومة ذوالفقار علي بوتو في اسلام اباد. تطورت الازمة السياسية الى مواجهات عسكرية وغارات جوية متبادلة بين الهند وباكستان، ومواجهات بحرية وبرية

كوارث القرن العشرين، خصوصا وان بريطانيا استندت الى عناصر الديموغرافية الدينية لرسم خطوط التقسيم الممتدة الالف الكيلومترات من البنغال شرقا الى البنجاب غربا وكشمير شمالا. صحيح ان المندوب السامي البريطاني في الهند اللورد ماونتباتن اشرف على توقيع اتفاق التقسيم على اسس دينية بين الزعيم الهندي جواهر لال نهرو والزعيم الاسلامي في الهند محمد علي جناح، وهو ما شكل بحسب هيئة الاذاعة البريطانية، بداية نهاية عصر الامبراطورية البريطانية. الا ان العديد من المجتمعات المسلمة حافظت على وجود لها داخل الهند، ولم تغادر.

لم تمض سوى اسابيع على التقسيم الديموي، حتى اندلعت الحرب الاولى بين الدولتين على اراضي كشمير، بعدما ساعدت باكستان في انتقال مقاتلين قبليين من منطقة وزيرستان الباكستانية، الى داخل كشمير لتأمين السيطرة عليها بدعم الجيش الباكستاني، في وقت كانت لا تزال امانة مستقلة. اما الهند فانها كانت من جهتها، تطمح الى السيطرة عليها، وما ان ناشدتا المساعدة على التصدي للتوغل الباكستاني، حتى اشترطت على سلطاتها توقيع اتفاق لخضوع كشمير الى السيادة الهندية.

حصلت نيودلهي على مرادها، فصار الجيشان الهندي والباكستاني في صدام عسكري وجها لوجه طوال 14 شهرا، انتهى بانحلال امانة كشمير، وتقاسم السيطرة عليها من الجارين الكبيرين، ونشوء خط وقف اطلاق النار، اضافة الى نحو 30 الف قتيل وجريح. سيطرت باكستان على ثلث اراضي كشمير، وذهب الثلثان الى السيادة الهندية.

اما الحرب الثانية بين البلدين، فاندلعت العام 1965، واستمرت حوالي 50 يوما، بعدما تطورت الاشتباكات الحدودية في كشمير الى حرب مفتوحة. كتكرار لما حصل في الحرب الاولى، سمحت باكستان بتسلل قوات الى داخل كشمير لاشغال تمرد ضد الحكم الهندي في اطار عملية سميت

غرقت احلام المهاتما غاندي في شلالات الدم والكرهية

التقسيم ترك جروحا غائرة منذ العام 1947

في حرب كارغيل حركت اسلام اباد ترسانتها النووية

عملية جبل طارق. لم تتوقف المواجهات سوى بعد تدخل كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ضمن اتفاق رعته الامم المتحدة.

تماما كما جرى ايضا في حرب كشمير الاولى، زعم كل طرف انه خرج منتصرا في الحرب الثانية. وفي كل الاحوال، سقط الالف الضحايا من الجانبين. يورد المؤرخون ان الرئيس الباكستاني الجنرال ايوب خان اعتقد وقتها ان الفرصة سانحة امامه